سيميائيات الرموز في التأويل القرآني عند عبد الرزاق الكاشاني: دراسة لآية النور في سورة النور في ضوء نظرية تشارلز ساندرز بيرس

- علي بنائيان أصفهاني (الكاتب المسؤول، أستاذ مساعد، قسم علوم القرآن والحديث، جامعة أصفهان- أصفهان – إيران.)
- جعفر شانظري (أستاذ مشارك، قسم الفلسفة والكلام الإسلامي، جامعة أصفهان- أصفهان – إيران.)

ملخّص البحث:

يحلل هذا البحث تأويل عبد الرزاق الكاشاني الصوفي لآية النور (سورة النور، الآية 35)، مستخدمًا منهجية تشارلز ساندرز بيرس السيميائية، وبالأخص نموذجه الثلاثي (العلامة، الموضوع، المفسر)، لاستكشاف البنية الرمزية والدلالات الروحية في تفسيره. يسعى البحث إلى إبراز التفاعل بين الرمزية القرآنية والمفاهيم الصوفية، مُسلطًا الضوء على آليات توليد المعاني في الخطاب التأويلي. يهدف البحث إلى: أولاً: تصنيف العلامات الأيقونية، المؤشرة، والرمزية في تأويل الكاشاني وتحليل دورها في نقل الدلالات الروحية؛ ثانياً: استكشاف توافق التأويل مع مفهوم بيرس للتأويل المتسلسل (السيميوسيس)؛ ثالثاً: إظهار التكامل بين المنهج السيميائي والمقاربات الصوفية لفهم التأويلات القرآنية. منهجيًا، يعتمد البحث على تحليل نصي دقيق لتأويلات الكاشاني في كتابه "تأويلات عبد الرزاق"، مع تطبيق النموذج الثلاثي لبيرس لتصنيف الرموز وتتبع عملية التأويل المتسلسل(السيميوسيس). تُظهر النتائج ثلاث فئات رئيسية: علامات أيقونية (المشكاة تمثل الجسد، الزجاجة للقلب النقي)، مؤشرة (المصباح للروح، "نور على نور" للتجليات الإلهية المتكررة)، ورمزية (شجرة الزيتون للنفس المطهرة). يتسق تأويل الكاشاني مع التأويل المتسلسل لبيرس، مولدًا معانيَ متجددة تعكس ديناميكية التفسير الصوفي، مما يبرز أهمية الدمج بين السيميائيات والصوفية كمدخل معاصر لدراسة الرمزية القرآنية.

الكلمات المفتاحية: السيميائيات، تأويل القرآن، عبد الرزاق الكاشاني، تشارلز ساندرز بيرس، آية النور، الرمزية الصوفية

The Semiotics of Symbols in Quranic Interpretation According to Abd al-Razzaq al-Kashani: A Study of the Light Verse in Surat al-Nur in Light of Charles Sanders Peirce's Theory

- **Dr. Ali Banaeian Esfahani** (Assistant Professor, Department of Quranic and Hadith Sciences, University of Isfahan, Iran.)
- **Dr. Jafar Shanazari** (Associate Professor of the Department of Theology and Islamic Philosophy, University of Isfahan, Isfahan, Iran.)

Abstract

This study examines Abd al-Razzaq al-Kashani's Sufi interpretation of the Light Verse (Qur'an 24:35) through Charles Sanders Peirce's semiotic framework, focusing on his triadic model (sign, object, interpretant) to uncover the symbolic and spiritual dimensions of the exegesis. It explores

the interaction between Qur'anic symbolism and Sufi thought, emphasizing how meaning is constructed in hermeneutical discourse.

The research aims to: (1) categorize iconic, indexical, and symbolic signs in al-Kashani's work and assess their role in conveying spiritual insights; (2) analyze the compatibility of his interpretation with Peirce's unlimited semiosis; and (3) demonstrate the convergence of semiotics and Sufi hermeneutics in Qur'anic exegesis.

Using a textual analysis of Ta'wilat Abd al-Razzaq, the study applies Peirce's model to classify symbols and trace semiosis. Key findings include iconic signs (the niche as the body, the glass as the heart), indexical signs (the lamp as the soul, "light upon light" as divine manifestations), and symbolic signs (the olive tree as the purified self). Al-Kashani's approach aligns with Peirce's dynamic interpretation, revealing the evolving nature of Sufi exegesis and underscoring the value of semiotics in studying Qur'anic symbolism.

Keywords: Semiotics, Qur'anic Hermeneutics, Abd al-Razzaq al-Kashani, Charles Sanders Peirce, the Light Verse, Sufi Symbolism

ISSN: 2394-4862

1. التمهيد:

تُعدّ آية النور في سورة النور من النصوص القرآنية الأكثر عمقًا رمزيًا، حيث تصور الله كنور السماوات والأرض من خلال صور مجازية دقيقة تشمل المشكاة، المصباح، الزجاجة، شجرة الزيتون، والنور على نور. تجسد هذه الآية، بطبقاتها الدلالية المتعددة، مصدرًا غنيًا للمعاني الميتافيزيقية والروحية، مما جعلها محورًا للدراسات الصوفية والفلسفية عبر العصور، إذ تعبر عن العلاقة بين النور الإلهي، الهداية، والإدراك البشري (الكاشاني، 1422ق، المجلد 2، ص 75).

في هذا السياق، يبرز عبد الرزاق الكاشاني (توفي 730 هـ/1330 م)، العالم الصوفي الإيراني في القرن الثامن الهجري، كأحد أبرز المفسرين الذين تناولوا الآية تأويلًا باطنيًا. عاش الكاشاني في عصر الإيلخانيين، وهي فترة تميزت بازدهار فكري في التصوف والفلسفة الإسلامية، متأثرًا بمفهوم وحدة الوجود لابن عربي. في كتابه «تأويلات عبد الرزاق»، يربط الكاشاني رموز الآية بالجوانب البشرية: المشكاة كالجسد، المصباح كالروح، الزجاجة كالقلب النقي، شجرة الزيتون كالنفس المطهرة، والنور على نور كالتجلي الإلهي المتكرر، مقدمًا نموذجًا فريدًا للتفاعل بين الرمزية القرآنية والتصورات الصوفية (نفس المصدر، ص78).

لتحليل هذا التأويل، يُعتمد إطار تشارلز ساندرز بيرس (1839–1914م)، الفيلسوف الأمريكي الرائد في علم السيميائيات الحديثة. طوّر بيرس نموذجًا ثلاثيًا للعلامات يشمل العلامة (التمثيل)، الموضوع، والمفسر، إلى جانب مفهوم السيميوسيس اللانهائية الذي يرى إنتاج المعنى كعملية ديناميكية مستمرة.

(Peirce, 1931, Vol 2, p 49).

يوفر هذا الإطار أداة تحليلية قوية لفهم كيفية توليد الدلالات الروحية في التأويلات الصوفية، خاصة في النصوص الغنية بالرمزية كآية النور.(Short, 2007, p. 15)

يتعرض البحث لدراسة تأويل الكاشاني لآية النور باستخدام نموذج بيرس السيميائي، ليكشف عن كيفية تفاعل الرموز القرآنية مع المفاهيم الصوفية. يتدفق المقال كالتالي: يبدأ بالإطار النظري لسيميائيات بيرس، يليه تحليل تأويل الكاشاني، ثم تطبيق النموذج الثلاثي على الرموز، ومناقشة مقارنة بين المنهجين الصوفي والسيميائي، وأخيرًا الخاتمة.

تتضمن فوائد البحث إثراء الدراسات القرآنية بمناهج تحليلية حديثة من خلال كشف الطبيعة الديناميكية للرمزية القرآنية، مما يعزز فهم التأويلات الباطنية. كما يساهم في تكامل التراث الصوفي مع الأدوات العلمية، مفتحًا آفاقًا للحوار بين التراث الإسلامي والفكر الغربي. أخيرًا، يقدم البحث نموذجًا تحليليًا قابلاً للتطبيق على نصوص دينية أخرى، مما يدعم تطوير السيميائيات القرآنية ويمهد لأبحاث مستقبلية متعددة التخصصات.

1-1. أهداف البحث:

1. تحديد العلامات الأيقونية والمؤشرة والرمزية في تأويل الكاشاني لآية النور وتحليل دورها في نقل الدلالات الروحية.
2. استكشاف توافق تأويل الكاشاني مع سيميائيات بيرس اللانهائية.
3. إبراز التكامل بين الخطاب الصوفي والتحليل السيميائي لفهم التأويلات القرآنية.

1-2. أسئلة البحث:

1. ما هي العلامات الأيقونية والمؤشرة والرمزية في تأويل الكاشاني لآية النور، وكيف تنقل الدلالات الروحية؟
2. كيف يتماشى تأويل الكاشاني مع سيميائيات بيرس اللانهائية؟
3. كيف تعزز منهجية بيرس التكامل بين الخطاب الصوفي والتحليل؟

1-3. منهجية البحث:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج السيميائي وفق نموذج تشارلز ساندرز بيرس الثلاثي (العلامة - الموضوع - المفسر)، بهدف تحليل الطبقات الرمزية في تأويل عبد الرزاق الكاشاني لآية النور. يتمثل الإجراء المنهجي في:

أولاً: استخلاص العناصر الرمزية من الآية وتصنيفها إلى علامات أيقونية (كالمشكاة التي تمثل الجسد البشري)، ومؤشرات (كالمصباح الذي يشير إلى الروح)، ورموز (كشجرة الزيتون التي ترمز للنفس المطهرة).

ثانيا: تحليل التفاعل بين هذه العلامات عبر تطبيق النموذج الثلاثي لكل عنصر لبيان كيفية توليد المعنى الروحي.

ثالثا: تتبع ديناميكية السيميوسيس (إنتاج العلامات) التي تكشف عن الطبيعة اللانهائية للتأويل الصوفي، كما في عبارة «نور على نور» التي تنتج طبقات متتالية من الدلالات. يعتمد التحليل على مقاربة نصية دقيقة لتأويلات الكاشاني، مع الربط بين المفاهيم السيميائية والمصطلحات الصوفية، مما يوفر إطاراً منهجياً متكاملاً لفهم الآليات الرمزية في الخطاب التأويلي الصوفي.

1-4. أهمية البحث:

تكمن أهمية الدراسة في ربط الخطاب الصوفي بالتحليل السميائي، مما يعزز فهم الرمزية القرآنية ويفتح آفاقًا جديدة للدراسات القرآنية. تساهم الدراسة في إثراء فهم التفاعل بين النص القرآني وتأويلاته الباطنية، مقدمة إسهامًا أصيلًا في مجال السيميائيات القرآنية.

1-5. خلفية البحث:

ISSN: 2394-4862

شهدت الدراسات القرآنية خلال العقود الأخيرة اهتمامًا متزايدًا بتطبيق المناهج السيميائية لتحليل الرموز والدلالات الباطنية في النصوص القرآنية، لاسيما في سياق التأويلات الصوفية. ومن بين الأعمال البارزة باللغة العربية، يبرز كتاب محمد مراكشي الموسوم بـ*"السيميائيات في الدراسات القرآنية"* (2019م)، الذي يتناول تطبيق السيميائيات على الرموز القرآنية بشكل عام، مركزًا على آليات إنتاج المعاني في النصوص الدينية، غير أنه لا يتعمق في تأويلات مفسرين صوفيين محددين مثل عبد الرزاق الكاشاني. كما تناولت دراسة أخرى بالعربية، وهي مقالة نيشتمان اللهويسي بعنوان *"سيميائيات الرموز في الشعر الإسلامي"*(2020م)، منشورة في مجلة البحث الأدبي، تصنيف الرموز الأيقونية والمؤشرة في الشعر الإسلامي بناءً على نظريات بيرس، مما يقترب من الرمزية الصوفية، لكنه يركز على الشعر بدلاً من التفسير القرآني.

وفي السياق الإنجليزي، ساهمت دراسات عديدة في هذا المجال، منها كتاب ويليام تشيتيك بعنوان *"طريق المعرفة الصوفية: ميتافيزيقيا الخيال عند ابن العربي"* (1989م)، الذي يحلل الرمزية في تفكير ابن عربي، مشيرًا إلى النور كرمز ميتافيزيقي، وكتاب آنماري شيمل بعنوان *"الأبعاد الصوفية في الإسلام"* (1975م)، الذي يستعرض الرموز الصوفية في الإسلام، بما في ذلك آية النور، لكن دون تطبيق نموذج سيميائي محدد مثل نظرية بيرس. كذلك، قدم توماس شورت في كتابه *"نظرية بيرس للعلامات"*(2007م)، تحليلًا شاملًا لنظرية بيرس الثلاثية مع تطبيقاتها على النصوص الثقافية، بينما استخدم إمبرتو إيكو في كتابه *"نظرية السيميائيات "*(1976م)، السيميائيات لتحليل الرموز الدينية، دون التركيز على السياق الإسلامي. وفي دراسة

حديثة، تناول إبراهيم الحصاري في مقالته *"اللغة المجازية في القرآن الكريم: تفسير سيميائي لسورة الحجرات"* (2022م)، المنشورة في مجلة TIJIE، الرموز المجازية في القرآن مستندًا إلى نظريات سيميائية، إلا أنها ظلت عامة دون التركيز على المنظور الصوفي أو نظرية بيرس.

تكشف هذه الأبحاث السابقة عن فجوة علمية واضحة في دمج المنهج السيميائي لبيرس مع التأويلات الصوفية المحددة لآية النور عند عبد الرزاق الكاشاني، إذ ركزت معظمها إما على السيميائيات العامة أو على الرمزية الصوفية دون تكامل منهجي. يتميّز البحث الحالي بتطبيقه المباشر لنموذج بيرس الثلاثي على تأويلات الكاشاني، مما يتيح تصنيف الرموز بدقة واستكشاف السيميوسيس اللانهائية في سياق قرآني-صوفي، بينما كانت الدراسات السابقة أكثر عمومية أو تركيزًا على جوانب أخرى مثل الألوان أو الشعر. يساهم هذا البحث في سد هذه الفجوة من خلال تقديم نموذج تحليلي متكامل يثري الدراسات القرآنية بأدوات حديثة، مما يفتح آفاقًا للحوار بين التراث الإسلامي والفكر الغربي، ويمهد الطريق لأبحاث مستقبلية متعددة التخصصات في السيميائيات القرآنية.

2. الإطار النظري لسيميائيات "بيرس"

يُعد تشارلز ساندرز بيرس (1839–1914) أحد رواد السيميائيات الحديثة، حيث طور نظرية شاملة للعلامات (semiotics) تركز على عملية إنتاج المعنى كعملية ديناميكية ثلاثية الأبعاد. تعتمد نظريته على نموذج ثلاثي (triadic model) يربط بين العلامة (representamen-sign)، الموضوع (object)، والمفسر (interpretant) مما يميزها عن النظريات الثنائية مثل تلك التي طورها "فرديناند دي سوسور". يُعتبر هذا النموذج أساسيًا لفهم كيفية توليد الدلالات في النصوص الدينية والصوفية، كما في حالة تأويل "عبد الرزاق الكاشاني" لآية النور. فيما يلي تفصيل للمكونات الرئيسية لهذه النظرية:

2-1. النموذج الثلاثي: العلامة، الموضوع، المفسر

يُبنى نموذج بيرس على علاقة ثلاثية ديناميكية حيث لا يمكن فهم العلامة إلا من خلال تفاعلها مع الموضوع والمفسر. يُعرف "بيرس" العلامة (representamen) بأنها شيء يقف مكان شيء آخر في بعض الجوانب أو القدرات.

وهي ليست مجرد رمز مادي بل عنصر يحمل خصائص تمكنه من التمثيل. أما الموضوع (object) فهو الكيان الذي تشير إليه العلامة، سواء كان حقيقيًا أو خياليًا ويحدد شروط التمثيل الناجح من خلال علاقة تحديدية (determination)كما في قوله: «الموضوع يحدد العلامة من خلال فرض قيود عليها».

أما المفسر(interpretant) فهو العنصر الثالث الذي يمثل التأثير أو التفسير الذي يولده التمثيل في الذهن، وهو ليس مجرد فهم سلبي بل عملية تطويرية تحول العلامة إلى علامة أخرى أكثر تعقيدًا. يوضح "بيرس" ذلك بمثال الدخان كعلامة للنار، حيث يكون الدخان العلامة، والنار الموضوع، والارتباط السببي (الدخان ينتج عن النار) هو المفسر الذي يولد فهمًا للوجود الفعلي للنار. (Peirce, 1932, 2: 228)

هذا النموذج يؤكد على الطابع الديناميكي للسيميائيات حيث تكون العملية ثلاثية لا ثنائية مما يتيح تطبيقًا عميقًا على التأويلات الصوفية التي تعتمد على طبقات متداخلة من المعاني.

2-2. تصنيف العلامات: الأيقونية، المؤشرة، الرمزية

يصنف "بيرس" العلامات بناءً على علاقتها بالموضوع إلى ثلاث فئات رئيسية، كما ورد في أعماله المبكرة (Peirce 1932, 2:247–249; 1867)

هذا التصنيف يساعد في تحليل الرموز القرآنية كما في آية النور:

2-2-1. العلامات الأيقونية:(Icons) تعتمد على التشابه أو المشابهة بين العلامة والموضوع، مثل "المشابهة في بعض الصفات.

أمثلة تشمل الصور أو الرسوم التوضيحية، كصورة شخص تشبه وجهه الحقيقي، أو رسم بياني يمثل علاقات رياضية. يؤكد "بيرس" أن الأيقونات النقية نادرة، غالبًا ما تكون "هيبو-أيقونات" (hypo-icons) مختلطة بعناصر أخرى. (نفس المصدر، ص276)

2-2-2. العلامات المؤشرة:(Indices) ترتبط بالموضوع بعلاقة سببية أو وجودية حقيقية، مثل "التوافق في الواقع". (نفس المصدر، ص56)

أمثلة تشمل الدخان كمؤشر للنار (علاقة سببية)، أو إصبع يشير إلى اتجاه.(نفس المصدر، ص 330) هذه العلامات أصبحت أكثر أهمية في أعمال بيرس المتوسطة بسبب تطورات في نظرية الكميات (quantification theory).

2-2-3. العلامات الرمزية:(Symbols) تعتمد على الاتفاق أو العادة، حيث "تكون علاقتها بالموضوع صفة منسوبة" (نفس المصدر، ص 56) أمثلة تشمل الكلمات مثل (man) و (homme) التي تشيران إلى الإنسان عبر اتفاق لغوي (نفس المصدر، ص 53) الرموز غالبًا ما تكون أكثر تعقيدًا وتتطلب سياقًا ثقافيًا. هذا التصنيف ليس مطلقًا، إذ يمكن أن تكون العلامات مختلطة مما يعزز مرونة النظرية في تحليل النصوص المعقدة.

2-3. مفهوم السيميائيات اللانهائية (Unlimited Semiosis)

يُقدم "بيرس" مفهوم "السيميوسيس اللانهائية" (unlimited semiosis) كعملية تكرارية حيث يولد كل مفسر علامة جديدة، مما يؤدي إلى سلسلة لا متناهية من المعاني، هذا يعني أن التفسير لا يتوقف عند نقطة نهائية، بل يتطور عبر طبقات، كما في ترجمة علامة إلى أخرى أكثر دقة. على سبيل المثال، علامة بسيطة مثل صورة قد تولد تفسيرات متتالية تعمق الفهم للموضوع. (Peirce, 1931, Vol 2, p 47)

هذا المفهوم يتوافق مع الطبيعة الديناميكية للتأويل الصوفي، حيث يولد كل مستوى من الرمزية دلالات جديدة، مما يجعل نظرية بيرس أداة قوية لدراسة النصوص القرآنية. يُعد هذا الإطار النظري أساسيًا لتطبيق المنهجية في البحث الحالي، حيث يتيح تحليلًا عميقًا للعلامات في تأويل الكاشاني مع الاستناد إلى أعمال بيرس الأصلية لضمان الدقة والعمق.

3. تأويل الكاشاني لآية النور

يقدم عبد الرزاق الكاشاني، العالم الصوفي البارز في القرن الثامن الهجري، تأويلًا باطنيًا وميتافيزيقيًا لآية النور في سورة النور، الآية 35 في كتابه «*تأويلات عبد الرزاق* الكاشاني».

تُعد هذه الآية، التي تُعرف بغناها الرمزي، من أبرز النصوص القرآنية التي تستخدم لغة مجازية لتصوير النور الإلهي وعلاقته بالإنسان والكون. تقول الآية ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾

يُؤوّل الكاشاني هذه الآية كتمثيل ميتافيزيقي للتجلي الإلهي والإدراك الروحي البشري معتمدًا على المنهج الصوفي الذي يسعى إلى كشف المعاني الباطنية وراء النص الظاهري. يستند تأويله إلى مفهوم وحدة الوجود، الذي يربط بين الذات الإلهية والوجود البشري، حيث يُعد النور رمزًا مركزيًا للهداية والمعرفة الإلهية. (الكاشاني، 1422ق، المجلد 2، ص 75)

3-1. السياق التاريخي والثقافي لتأويلات الكاشاني

"عبد الرزاق الكاشاني" (730 هـ/1330 م)، أحد العلماء الصوفيين البارزين في القرن الثامن الهجري، عاش في فترة زمنية تميزت بالتفاعل الفكري المكثف بين التصوف الإسلامي والفلسفة، خاصة في إيران وما حولها خلال العصر الإيلخاني. كانت هذه الفترة تشهد ازدهارًا في الدراسات الصوفية، متأثرة بأفكار "ابن عربي" (638 هـ-1240م) الذي وضع أسس مفهوم وحدة الوجود، والذي شكّل إطارًا مركزيًا لتفكير الكاشاني. عاش الكاشاني في مدينة كاشان وهي مركز ثقافي وديني في إيران حيث ازدهرت الزوايا الصوفية والمدارس الفكرية التي جمعت بين التفسير القرآني، الفلسفة، والتصوف. (Chittick, 1989, p 23)

هذا السياق الفكري شكّل دوافع الكاشاني لتقديم تأويل باطني لآية النور في كتابه «*تأويلات عبد الرزاق*» حيث سعى إلى كشف المعاني الروحية والميتافيزيقية وراء النص القرآني.

في العصر الإيلخاني، كانت المنطقة تشهد تحولات سياسية واجتماعية كبيرة بعد الغزو المغولي، مما أدى إلى انفتاح ثقافي نسبي وتفاعل بين التقاليد الإسلامية والعناصر الفارسية. هذا التعدد الثقافي عزّز من اهتمام الصوفيين مثل الكاشاني بالرمزية كوسيلة للتعبير عن الحقائق الروحية بطريقة تتجاوز الحدود الثقافية. فعلى سبيل المثال، استخدام الكاشاني لرموز مثل «المشكاة» و «شجرة الزيتون» يعكس تأثره بالتقاليد الصوفية التي تستلهم الرمزية القرآنية لربط الإنسان بالإلهي، وهي رمزية كانت مفهومة ضمن السياق الثقافي الإسلامي والفارسي آنذاك. (Nasr, 2006, p 45)

كما تأثر الكاشاني بمدرسة "ابن عربي" التي ركزت على التجلي الإلهي ووحدة الوجود حيث يُنظر إلى الكون كمظهر للذات الإلهية. هذا الإطار الفكري دفع الكاشاني إلى تفسير آية النور كتعبير عن التجلي الإلهي داخل العناصر البشرية (الجسد، الروح، القلب، النفس) مما يعكس محاولته للتوفيق بين التفسير الباطني والرؤية الكونية الصوفية. علاوة على ذلك، كانت الزوايا الصوفية في كاشان بيئة خصبة لتبادل الأفكار حيث كان الصوفيون يناقشون النصوص القرآنية بأساليب رمزية وفلسفية، مما شجّع الكاشاني على صياغة تأويلاته بطريقة تعبّر عن التجربة الروحية العميقة. (الكاشاني، 1422ق، المجلد 2، ص 75)

من الناحية الثقافية، كانت الرمزية في التصوف الإسلامي وسيلة للتعبير عن المفاهيم الميتافيزيقية بطريقة يمكن أن تُفهم عبر مستويات مختلفة من التجربة الروحية. فمثلاً، رمز «النور» في آية النور لم يكن مجرد استعارة بصرية بل كان يحمل دلالات ميتافيزيقية مرتبطة بالهداية والمعرفة الإلهية في التقاليد الصوفية. اختيار الكاشاني لربط «المشكاة» بالجسد و«الزجاجة» بالقلب النقي يعكس تأثره باللغة الرمزية السائدة في التصوف الفارسي التي كثيرًا ما استخدمت الصور المادية للتعبير عن الحقائق الروحية. هذا السياق الثقافي ساعد في تشكيل رموزه، حيث كانت هذه الرموز مفهومة ضمن المجتمع الصوفي الذي يتقاسم لغة مشتركة من المصطلحات والصور الرمزية. (Schimmel, 1975, p 89)

ومع ذلك، يمكن ملاحظة أن تركيز الكاشاني على التأويل الباطني قد يكون متأثرًا بالتحديات الاجتماعية والسياسية في عصره حيث كانت الاضطرابات السياسية تدفع الصوفيين إلى البحث عن ملاذ روحي في المعاني الباطنية للنصوص الدينية بدلاً من التركيز على التفسيرات الظاهرية أو التشريعية. هذا التوجه يفسر ميل الكاشاني إلى تفسير آية النور كرمز للتجربة الروحية الفردية بدلاً من مناقشة سياقها التشريعي في سورة النور، التي تركز على الأحكام الاجتماعية والأخلاقية. هذا السياق التاريخي والثقافي يوضح دوافع الكاشاني ويبرز كيف شكّلت البيئة الفكرية رموزه، مما يعزّز فهم تأويلاته من منظور سيميائي كجزء من تقليد صوفي أوسع.

الرسم البياني (1)

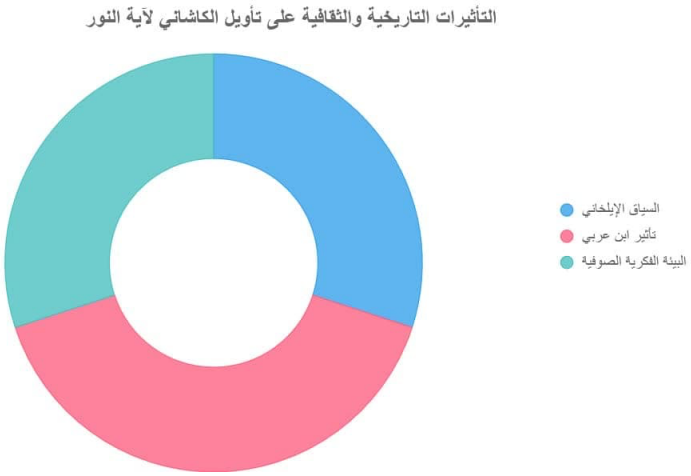

3-2. النور: الوجود الإلهي المطلق

في تأويله، يفسر الكاشاني عبارة «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» على أنها إشارة إلى الوجود الإلهي المطلق، الذي يُشكل مصدر كل نور ووجود في الكون. يرى الكاشاني أن النور ليس مجرد ظاهرة مادية، بل هو تعبير عن جوهر الله الذي يتجلى في الخلق، مضيئًا السماوات والأرض ومانحًا إياها الوجود والحياة. (نفس المصدر، ص 75) هذا التأويل يتماشى مع الفكر الصوفي الذي يؤكد أن الله هو الحقيقة الوجودية الوحيدة، وأن كل ما في الكون هو انعكاس لتجليه.

3-3. المشكاة: الجسد البشري كحاوية النور

يُشبّه الكاشاني «المشكاة» بالجسد البشري، معتبرًا إياها الحاوية المادية التي تحمل النور الإلهي. في رؤيته، يُعد الجسد البشري وعاءً يحتوي على الروح والقلب، وهو القادر على استقبال التجليات الإلهية من خلال التزكية والعبادة. (نفس المصدر، ص 76) يبرز هذا التأويل دور الجسد كعنصر أساسي في التجربة الروحية، حيث يوفر الإطار المادي الذي يتيح للنور الإلهي أن يتجلى داخل الإنسان. يؤكد الكاشاني أن المشكاة، بوصفها هيكلًا ماديًا، ليست مجرد قشرة خارجية، بل هي جزء لا يتجزأ من العملية الروحية.

3-3. المصباح: الروح البشرية كنور داخلي

يُفسر الكاشاني «المصباح» على أنه الروح البشرية، التي تُمثل النور الداخلي الموجود داخل المشكاة. في التقليد الصوفي، تُعد الروح العنصر الإلهي في الإنسان، المتصل مباشرة بالنور الإلهي. يوضح الكاشاني أن المصباح يمثل الوعي الروحي الذي يُمكّن الإنسان من إدراك الحقائق الإلهية والتفاعل معها، مما يجعله مركز التجربة الروحية.(نفس المصدر، ص 76) هذا التأويل يعكس الرؤية الصوفية التي ترى الروح كجسر بين العالم المادي والإلهي، قادرة على إضاءة الجسد بالمعرفة الإلهية.

3-4. الزجاجة: القلب النقي كمرآة النور

يُشبّه الكاشاني «الزجاجة» التي وُصفت في الآية بأنها «كأنها كوكب دري»، بالقلب البشري النقي. يرى أن القلب، بفضل نقائه وصفائه، يعمل كمرآة تعكس النور الإلهي وتضخمه. في تأويله، تُمثل الزجاجة القلب المطهر من الشوائب الدنيوية، مما يجعله قادرًا على استقبال التجليات الإلهية وإشعاعها إلى الروح والنفس. (نفس المصدر، ص 77) يؤكد الكاشاني أن نقاء القلب هو شرط أساسي لتحقيق الإدراك الروحي، حيث يصبح القلب وسيطًا بين النور الإلهي والإنسان.

5-3. شجرة الزيتون: النفس المطهرة كوسيط ميتافيزيقي

يفسر الكاشاني ﴿شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾ على أنها النفس المطهرة، التي تتوسط بين الأبعاد المادية والروحية. يرى أن وصف الشجرة بأنها «لا شرقية ولا غربية» يشير إلى تجاوز النفس للثنائيات المادية والمحدوديات الزمانية والمكانية، مما يجعلها وسيطًا مثاليًا لاستقبال النور الإلهي. (نفس المصدر، ص 77) يُضيف أن الزيت، الذي «يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار» يمثل استعداد النفس الذاتي للإضاءة الروحية، مما يعكس نقاءها وقربها من الله. هذا التأويل يبرز الطبيعة المزدوجة للنفس كجسر يربط بين المادي والإلهي.

5-3. نورٌ على نور: التجلي المتكرر

تُعد عبارة «نور على نور» في تأويل الكاشاني إشارة إلى التجلي الإلهي المتكرر، حيث يتفاعل النور الإلهي مع القلب، الروح، والنفس ليولد طبقات متتالية من المعرفة والإدراك الروحي. يوضح الكاشاني أن هذه العبارة تعبر عن الطبيعة الديناميكية للتجربة الصوفية، حيث يؤدي كل مستوى من الإدراك إلى تعميق الاتصال بالله (نفس المصدر، ص 78) يربط هذا التأويل بين مفهوم التجلي الإلهي والعملية التكرارية للتنوير الروحي، مما يعكس الفكر الصوفي القائم على وحدة الوجود.

4. السياق الصوفي وأهمية التأويل

يندرج تأويل الكاشاني ضمن التقليد الصوفي الإسلامي، وبالأخص مدرسة "ابن عربي" التي تؤكد على وحدة الوجود والتجلي الإلهي كمفاهيم أساسية. يعتمد الكاشاني على هذا الإطار الفكري ليفسر الآية كتعبير عن العلاقة بين الذات الإلهية والإنسان، حيث يُعد النور رمزًا للهداية والمعرفة الإلهية. (نفس المصدر، ص 75–78) من الناحية المنهجية، يعتمد تأويله على التفسير الباطني، الذي يركز على كشف المعاني الخفية وراء النص الظاهري، مما يجعله نموذجًا مثاليًا للتحليل السيميائي بمنهجية "تشارلز ساندرز بيرس" التي تركز على العلاقات الديناميكية بين العلامات ومعانيها.

5. الأهمية في الدراسات القرآنية

يُسهم تأويل الكاشاني في إثراء الدراسات القرآنية من خلال تقديم رؤية صوفية متكاملة تربط بين النص القرآني والتجربة الروحية. يتميز تأويله بطبيعته المتعددة الطبقات، حيث يربط بين العناصر المادية (المشكاة، الزجاجة) والروحية (الروح، القلب، النفس) ليصوغ فهمًا شاملًا للنور الإلهي. هذا التأويل يوفر أرضية خصبة لتطبيق

التحليل السيميائي، حيث تتيح رمزية الآية وتعدد طبقاتها فحص العلاقات بين العلامات ودلالاتها في سياق صوفي. من خلال هذا التأويل، يمكن استكشاف كيفية استخدام القرآن للغة الرمزية لنقل الحقائق الميتافيزيقية، مما يجعل دراسة الكاشاني نقطة انطلاق مثالية لتحليل سيميائي بمنهجية بيرس.

6. التحليل السيميائي بمنهجية "بيرس"

يوفر إطار "تشارلز ساندرز بيرس" السيميائي، الذي يعتمد على نموذجه الثلاثي للعلامات (التمثيل، الهدف، والمفسر) أداة تحليلية قوية لفهم الدلالات الرمزية في تأويل عبد الرزاق الكاشاني لآية النور. يميّز بيرس بين ثلاثة أنواع من العلامات: الأيقونة، التي تشبه هدفها من خلال الصفات المشتركة؛ المؤشر، الذي يشير إلى هدفه من خلال ارتباط سببي أو وجودي؛ والرمز، الذي يعتمد على الارتباطات التقليدية أو المكتسبة.

(Peirce, 1931, Vol 2, pp 49–58)

يُعد هذا الإطار مناسبًا بشكل خاص لتحليل التأويلات الصوفية للنصوص القرآنية، التي تعتمد على لغة رمزية غنية لنقل الحقائق الميتافيزيقية. في هذا القسم، يتم تطبيق منهجية بيرس على تأويل الكاشاني لآية النور، مع التركيز على تحديد العلامات الأيقونية، المؤشرة، والرمزية، واستكشاف مفهوم السيميائيات اللانهائية، لكشف كيفية بناء المعاني الروحية في التأويل الصوفي.

6-1. العلامات الأيقونية

في سيميائيات بيرس، تشبه الأيقونة هدفها من خلال التشابه في الصفات أو الخصائص(نفس المصدر، ص 49) في تأويل الكاشاني، تُعد «المشكاة» التي يُفسرها كالجسد البشري، علامة أيقونية لأنها تشبه وظيفة الحاوية التي تحمل النور الإلهي، كما تحتوي المشكاة المادية على المصباح. (الكاشاني، 1422ق، المجلد 2، ص 76) التشابه بين الجسد كوعاء مادي والمشكاة كحاوية للضوء يعكس القدرة على احتواء التجليات الروحية. وبالمثل، تُمثل «الزجاجة» التي شُبهت في الآية بـ «كوكبٌ دري» وفُسرت كالقلب النقي، علامة أيقونية أخرى حيث تعكس نقاء القلب وصفاءه التشابه مع الزجاجة الشفافة اللامعة القادرة على عكس النور الإلهي. (نفس المصدر، ص 77) تعتمد هذه العلامات الأيقونية على التشابهات الحسية والبصرية، مما يمكّن المؤوّل من إدراك الحقائق الإلهية من خلال صور مادية مألوفة. هذه التشابهات تعزّز الارتباط بين النص القرآني والتجربة البشرية، مما يجعل العلامات الأيقونية وسيلة فعالة لنقل المعاني الروحية.

6-2. العلامات المؤشرة

تشير العلامات المؤشرة إلى هدفها من خلال ارتباط سببي أو وجودي مباشر، مثل العلاقة بين الدخان والنار. (Peirce, 1931, Vol 2, p 50)في تأويل الكاشاني، تُعد إضاءة «المصباح» التي تغذيها زيت شجرة الزيتون، علامة مؤشرة لوجود النور الإلهي داخل الروح البشرية. (الكاشاني، 1422ق، المجلد 2، ص 76) العلاقة السببية بين الزيت الذي «يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار» وإضاءة المصباح تشير إلى الارتباط الوجودي بين

استعداد النفس البشرية والهداية الإلهية. هذا الارتباط يعكس كيفية تفاعل النور الإلهي مع الروح لإنتاج الإدراك الروحي، حيث يُعد المصباح دليلًا مباشرًا على وجود النور الإلهي داخل الإنسان. كما أن عبارة «نورٌ على نور» تُشكل علامة مؤشرة، حيث تشير إلى التجلي الإلهي المتكرر الذي يتفاعل مع القلب والروح ليولد طبقات إضافية من المعرفة الروحية.(نفس المصدر، ص 78) هذه العلامات المؤشرة تعزز فهم العلاقة الديناميكية بين الإلهي والبشري في التأويل الصوفي.

3-6. العلامات الرمزية

تعتمد العلامات الرمزية على الارتباطات التقليدية أو المكتسبة، التي تتطلب معرفة مشتركة ضمن مجتمع تفسيري معين (Short, 2007, p 15) في تأويل الكاشاني تُعد «شجرة الزيتون»، الموصوفة بأنها «لا شرقية ولا غربية» علامة رمزية تمثل النفس المطهرة التي تتجاوز الثنائيات المادية والروحية. (الكاشاني، 1422ق، المجلد 2، ص 77) هذا الرمز متجذر في التقليد الصوفي الإسلامي وبالأخص في مدرسة "ابن عربي" حيث تُشير النفس المطهرة إلى حالة روحية تتوسط بين المادي والإلهي. فهم هذه العلامة يتطلب دراية بالمفاهيم الصوفية، مثل وحدة الوجود، التي ترى أن النفس المطهرة هي مظهر للتجلي الإلهي. وبالمثل، تُعد عبارة «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» علامة رمزية، حيث ترمز إلى الوجود الإلهي المطلق بطريقة تعتمد على التقاليد اللاهوتية الإسلامية. (نفس المصدر، ص 75) هذه العلامات الرمزية تعزز التأويل الصوفي من خلال ربط النص القرآني بالمفاهيم الميتافيزيقية العميقة.

الرسم البياني (2)

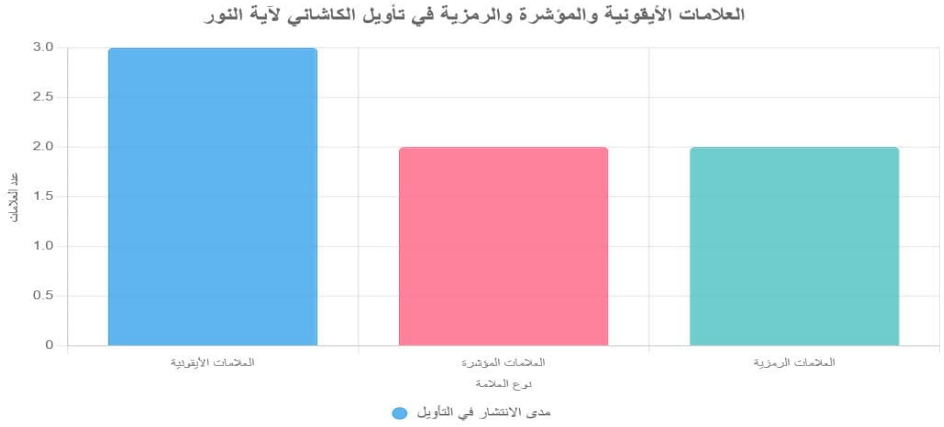

يُقدم "بيرس" مفهوم السيميائيات اللانهائية الذي يفترض أن كل مفسر يولد علامة جديدة ممّا يؤدي إلى سلسلة لا نهائية من المعاني.(Short, 2007, p 15)

في تأويل الكاشاني، تُظهر عناصر الآية (المشكاة، المصباح، الزجاجة، الزيت) هذه العملية التكرارية، حيث يولد كل عنصر مفسرات إضافية تمثل الجسد، الروح، القلب، والنفس المطهرة. (الكاشاني، 1422ق، المجلد 2، ص 75–78) على سبيل المثال، المشكاة (الجسد) تُولد مفسرًا يشير إلى دورها كحاوية للروح، التي بدورها تُولد

مفسرًا آخر يتعلق بالإدراك الروحي. وبالمثل، تُولد الزجاجة (القلب) مفسرًا يرتبط بنقائها وقدرتها على عكس النور الإلهي، مما يؤدي إلى طبقات إضافية من المعنى. هذه العملية تعكس الطبيعة التكرارية للتأويل الصوفي، حيث يؤدي كل مستوى من التفسير إلى إنتاج دلالات جديدة، مما يتماشى مع مفهوم بيرس للسيميائيات اللانهائية. هذا التفاعل الديناميكي يبرز قدرة التأويل الصوفي على إنتاج معانٍ متجددة، مما يجعل الآية مصدرًا لا نهائيًا للإلهام الروحي.

7. السيميائيات اللانهائية وتعددية التأويل الصوفي: تحليل ديناميكي لتأويل الكاشاني لآية النور

في سياق تأويل عبد الرزاق الكاشاني لآية النور، يُظهر تطبيق مفهوم السيميائيات اللانهائية لـ"تشارلز ساندرز بيرس" كيفية تفسير تعددية التأويلات الصوفية من خلال عملية ديناميكية تكرارية. يفترض "بيرس" أن كل مفسر (Interpretant) يولد علامة جديدة، مما يؤدي إلى سلسلة لا نهائية من المعاني.(Short, 2007, p15)

هذه العملية تتماشى مع الخطاب الصوفي الذي يعتمد على طبقات متداخلة من المعاني الباطنية، حيث ينتج كل تأويل دلالات جديدة بناءً على تجربة المفسر الروحية وسياقه المعرفي. في تأويل الكاشاني، تُعد العناصر الرمزية في الآية (المشكاة، المصباح، الزجاجة، شجرة الزيتون، نورٌ على نور) علامات تولد مفسرات متتالية تعكس التعددية الصوفية.

على سبيل المثال، يُفسر الكاشاني "المشكاة" كالجسد البشري، وهي علامة أيقونية تشير إلى وظيفتها كحاوية مادية للنور الإلهي.(الكاشاني، 1422ق، المجلد 2، ص 76) المفسر الأولي لهذه العلامة هو فهم الجسد كوعاء روحي، لكنه يولد علامة جديدة تتعلق بدور الجسد في التزكية والعبادة، مما يفتح المجال لتأويلات إضافية تربط الجسد بالروح والقلب. وبالمثل، يُشير "المصباح"، كعلامة مؤشرة، إلى الروح البشرية التي تضيء الجسد، ويولد مفسرًا يرتبط بالوعي الروحي، والذي بدوره يصبح علامة جديدة تُحلل كجسر بين العالم المادي والإلهي. هذه العملية التكرارية تتكرر مع "الزجاجة" (القلب النقي)، التي تولد مفسرات تربط نقاء القلب بالهداية الإلهية، ومع "شجرة الزيتون" (النفس المطهرة)، التي تشير إلى تجاوز الثنائيات المادية والروحية. (نفس المصدر، ص 77)

أما عبارة «نور على نور» فتُمثل علامة مؤشرة تعكس التجلي الإلهي المتكرر، حيث يولد كل مستوى من التجلي مفسرًا جديدًا يعمق الإدراك الروحي. (نفس المصدر، ص 78) هذا التفاعل يعكس جوهر السيميائيات اللانهائية، حيث تسمح العملية التكرارية بإنتاج معانٍ متجددة بناءً على مستوى التزكية الروحية للمفسر؛ على سبيل المثال، قد يرى الصوفي المبتدئ النور كرمز للهداية، بينما يراه الصوفي المتقدم كتجلي لوحدة الوجود، مما يبرز تعددية التأويلات ضمن الإطار الصوفي. هذه التعددية تتماشى مع مفهوم وحدة الوجود في الفكر الصوفي، حيث يتجلى النور الإلهي في طبقات متتالية من الوجود، يُحلّل كل منها وفقًا لسياق المفسر.

يوفر هذا التحليل تفسيرًا واضحًا لكيفية إنتاج التأويلات الصوفية المتعددة من خلال السيميائيات اللانهائية. فالنص القرآني، بغناه الرمزي، يعمل كمصدر لا نهائي للدلالات، حيث تتفاعل العلامات مع تجارب المفسرين الروحية لتوليد معانٍ جديدة. هذا النهج لا يعزز فهم التأويلات الباطنية فحسب، بل يكشف أيضًا عن التوازي بين ديناميكية السيميوسيس عند "بيرس" والمفهوم الصوفي للتجلي الإلهي، حيث يؤدي كل مستوى من التفسير إلى تعميق الاتصال بالحقيقة الإلهية.

الرسم البياني (3)

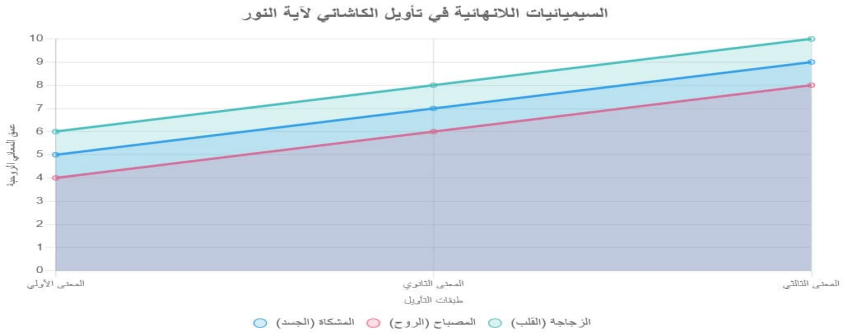

8. التكامل بين التأويل الصوفي ومنهجية بيرس

يُظهر تطبيق منهجية بيرس على تأويل الكاشاني كيف تتفاعل العلامات الأيقونية، المؤشرة، والرمزية لنقل الحقائق الروحية. الأيقونات، مثل المشكاة والزجاجة، توفر تشابهات حسية تسهل فهم التجلي الإلهي من خلال صور مادية. المؤشرات، مثل إضاءة المصباح وعبارة «نورٌ على نور»، تُبرز العلاقات السببية بين النور الإلهي والإدراك البشري. الرموز، مثل شجرة الزيتون، تعتمد على التقاليد الصوفية لنقل المفاهيم الميتافيزيقية العميقة. هذا التكامل بين أنواع العلامات يعكس الطبيعة المتعددة الطبقات لتأويل الكاشاني، حيث تتفاعل العناصر المادية والروحية لإنتاج فهم شامل للنور الإلهي. علاوة على ذلك، يُبرز مفهوم السيميائيات اللانهائية الطابع الديناميكي للتأويل الصوفي، حيث يُولد كل مستوى من التفسير معاني جديدة، مما يعزز الصلة بين النص القرآني والتجربة الروحية.

الرسم البياني (4)

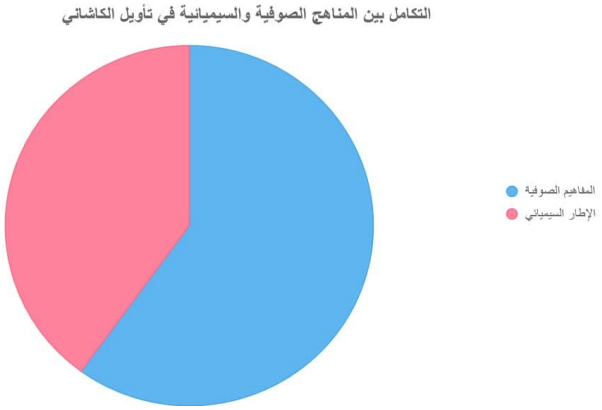

9. التحليل النقدي لتأويل الكاشاني وحدود تطبيق "نموذج بيرس"

يُقدم تأويل عبد الرزاق الكاشاني لآية 35 سورة النور في كتابه «*تأويلات عبد الرزاق*» رؤية صوفية عميقة تربط بين النور الإلهي والعناصر البشرية (الجسد، الروح، القلب، النفس المطهرة) معتمدًا على مفهوم وحدة الوجود. (الكاشاني، 1422ق، المجلد 2، ص 75–78) وعلى الرغم من أن تطبيق نموذج بيرس السيميائي الثلاثي (التمثيل، الهدف، المفسر) على هذا التأويل يكشف عن ديناميكية إنتاج المعاني، فإن التحليل الوصفي في المقال يفتقر إلى تقييم نقدي لهذا التأويل وحدود تطبيق المنهجية السيميائية على النصوص الدينية الصوفية. يهدف هذا القسم إلى معالجة هذا النقص من خلال تقييم تأويل الكاشاني من منظور سيميائي وفلسفي، مع التركيز على نقاط القوة والقيود في استخدام نموذج بيرس.

10. نقاط القوة في "تأويل الكاشاني" من منظور سيميائي

تكمن قوة تأويل الكاشاني في قدرته على إنتاج طبقات متداخلة من المعاني الباطنية التي تتماشى مع الطبيعة التكرارية للسيميائيات اللانهائية عند بيرس. فعلى سبيل المثال، تفسيره لـ«المشكاة» كالجسد البشري، و«المصباح» كالروح، و«الزجاجة» كالقلب النقي، يعكس استخدامًا متكاملاً للعلامات الأيقونية والمؤشرة والرمزية، مما يسمح بإنتاج معانٍ روحية متعددة الأبعاد.(نفس المصدر، ص 76–77) هذا التعدد يتماشى مع مفهوم "بيرس" للسيميوسيس، حيث تُولد كل علامة مفسرًا يصبح علامة جديدة، مما يعزّز فهم النص القرآني كمصدر لا نهائي للدلالات. (Short, 2007, p. 15)

كما أن تأويل الكاشاني لعبارة «نور على نور» كتجلي إلهي متكرر يعكس ديناميكية السيميائيات اللانهائية، حيث يؤدي كل مستوى من الإدراك الروحي إلى تعميق الاتصال بالحقيقة الإلهية. (الكاشاني، 1422ق، المجلد 2، ص 78) هذا التوافق يبرز قدرة النموذج السيميائي على كشف الآليات الرمزية في الخطاب الصوفي، مما يعزّز التكامل بين المناهج الصوفية والتحليلية.

من الناحية الفلسفية، يعكس تأويل الكاشاني رؤية متماسكة لوحدة الوجود، حيث يربط بين النور الإلهي كمصدر مطلق والعناصر البشرية كمظاهر لهذا النور. هذا الربط يتماشى مع التصور الصوفي الذي يرى الكون كتجليات إلهية، مما يجعل تأويله نموذجًا فعالًا لفهم العلاقة بين الذات الإلهية والإنسان. إضافة إلى ذلك، يوفر الإطار الصوفي للكاشاني، المستمد من مدرسة "ابن عربي" أرضية خصبة لتطبيق نموذج "بيرس" حيث تتيح الرمزية القرآنية تحليل العلاقات الديناميكية بين العلامات ومعانيها.(Chittick, 1998, pp 12–15)

11. حدود تأويل الكاشاني من منظور سيميائي

على الرغم من نقاط القوة، فإن تأويل الكاشاني يواجه قيودًا عند تحليله من منظور سيميائيات بيرس.

أولًا، يعتمد تأويله على السياق الصوفي الإسلامي، وبالأخص مفهوم وحدة الوجود، مما قد يحد من إمكانية تعميمه على سياقات تأويلية أخرى. فعلى سبيل المثال، تفسيره لـ«شجرة الزيتون» كالنفس المطهرة يعتمد على

تقاليد صوفية محددة. (الكاشاني، 1422ق، المجلد 2، ص 77) مما يجعل العلامة الرمزية (شجرة الزيتون) غير مفهومة بسهولة خارج الإطار الصوفي دون معرفة مسبقة بالمصطلحات والمفاهيم الصوفية. هذا الاعتماد على السياق التقليدي قد يقيد قدرة نموذج بيرس على تحليل النصوص الدينية في سياقات ثقافية أو دينية مختلفة، حيث تتطلب العلامات الرمزية اتفاقًا مشتركًا ضمن مجتمع تفسيري معين. (Peirce, 1931, Vol 2, p 50)

ثانيًا، يفتقر تأويل الكاشاني إلى التفسير الصريح لكيفية تفاعل العلامات مع السياقات الاجتماعية أو التاريخية للقرن الثامن الهجري، مما يحد من التحليل السيميائي. ففي حين أن نموذج بيرس يركز على التفاعل الديناميكي بين العلامة، الهدف، والمفسر، فإن تأويل الكاشاني يركز بشكل أساسي على المعاني الباطنية دون الإشارة إلى كيفية تأثير السياق الثقافي أو التاريخي على إنتاج هذه المعاني. على سبيل المثال، لا يناقش الكاشاني كيف قد تؤثر الظروف الاجتماعية أو الفكرية في عصره على تفسيره لـ«الزجاجة» كالقلب النقي، مما يترك فجوة في فهم العوامل الخارجية التي تشكل المفسر في نموذج بيرس.

12. حدود تطبيق نموذج بيرس على النصوص الدينية

تطبيق نموذج بيرس على النصوص الدينية، مثل آية النور، يواجه قيودًا فلسفية ومنهجية. من الناحية الفلسفية، يفترض نموذج بيرس أن العلامات تعمل ضمن نظام منطقي يمكن تحليله بشكل موضوعي، لكن النصوص الدينية، وبالأخص التأويلات الصوفية، غالبًا ما تعتمد على تجارب ذاتية وروحية لا يمكن قياسها أو تحليلها بشكل كامل ضمن إطار سيميائي. على سبيل المثال، تأويل الكاشاني لـ«نور على نور» كتجلي إلهي متكرر يعتمد على تجربة روحية شخصية (الكاشاني، 1422ق، المجلد 2، ص 78) مما قد يتعارض مع الطابع العلمي لنموذج بيرس الذي يسعى إلى تحليل العلامات بطريقة منهجية ومحايدة.

من الناحية المنهجية، قد يكون من الصعب تطبيق نموذج بيرس على النصوص الدينية بسبب تعقيد الرمزية القرآنية وطبيعتها متعددة الطبقات. فعلى سبيل المثال، تتطلب العلامات الرمزية مثل «شجرة الزيتون» معرفة مسبقة بالتقاليد الصوفية واللاهوتية، مما يجعل التحليل السيميائي معتمدًا على السياق الثقافي إلى حد كبير. هذا الاعتماد قد يحد من قدرة النموذج على تقديم تحليل شامل للنصوص الدينية في سياقات غير إسلامية أو غير صوفية.

13. تقييم التوازن بين التأويل الصوفي والتحليل السيميائي

رغم هذه القيود، يظل تطبيق نموذج بيرس على تأويل الكاشاني مثمرًا لأنه يكشف عن الآليات الرمزية التي تتيح إنتاج معانٍ متجددة. ومع ذلك، يتطلب التحليل النقدي النظر في كيفية تأثير الافتراضات المسبقة للكاشاني، مثل الالتزام بمفهوم وحدة الوجود، على تفسيره. على سبيل المثال، قد يؤدي تركيزه على المعاني الباطنية إلى إغفال الجوانب الظاهرية للآية، مثل سياقها التاريخي أو وظيفتها التشريعية في سورة النور. من ناحية أخرى، يوفر نموذج بيرس إطارًا موضوعيًا يكمل الطابع الذاتي للتأويل الصوفي، مما يعزز فهم التفاعل بين النص

القرآني وتأويلاته. لكن لتحقيق تحليل أكثر شمولية، ينبغي دمج التحليل السيميائي مع مناهج أخرى، مثل التحليل التاريخي أو السياقي، لفهم كيفية تشكل المعاني في سياقات اجتماعية وثقافية محددة.

14. توافق نموذج بيرس مع المفاهيم الصوفية

يُظهر نموذج بيرس توافقًا ملحوظًا مع المفاهيم الصوفية، خاصة وحدة الوجود والتجلي الإلهي، كما تتجلى في تأويل الكاشاني لآية النور. في التصوف الإسلامي، وحدة الوجود، كما صيغت في أعمال "ابن عربي" ترى أن الوجود كله مظهر للذات الإلهية، وأن العالم هو تجليات متتالية للنور الإلهي (Chittick, 1989, p 12)

هذا المفهوم يتوازى مع السيميوسيس اللانهائية عند بيرس، حيث يُنتج كل تأويل (مفسر) دلالة جديدة، تعكس طبقة أعمق من الحقيقة الروحية. على سبيل المثال، يفسر الكاشاني «نور على نور» كتجلي إلهي متكرر (الكاشاني، 1422ق، المجلد 2، ص 78) وهو ما يتماشى مع فكرة بيرس عن المعاني المتتالية التي تتكشف عبر التفاعل بين العلامات والمفسرات. هذا التوازي يبرز كيف يمكن لنموذج بيرس أن يوفر إطارًا تحليليًا لفهم العملية الصوفية لكشف الحقائق الباطنية.

علاوة على ذلك، فإن مفهوم التجلي الإلهي، الذي يرى أن الله يتجلى في صور متغيرة وفقًا لاستعداد المستقبل (ابن عربي، 1911ق، ص 304) يتماشى مع ديناميكية السيميوسيس عند بيرس. فعلى سبيل المثال، تفسير الكاشاني لـ«المشكاة» كالجسد البشري و«الزجاجة» كالقلب النقي. (الكاشاني، 1422ق، المجلد 2، ص 76–77) يعكس فكرة التجلي بصور متعددة، حيث تُعد كل علامة (مثل المشكاة) مظهرًا للحقيقة الإلهية يُفسر وفقًا للسياق الروحي. هذا التوافق يجعل نموذج بيرس أداة فعالة لتحليل الرمزية الصوفية، حيث يمكن للعلامات القرآنية أن تولد معانٍ متجددة بناءً على تجربة المفسر، مماثلة للتجليات الإلهية المتعددة في التصوف.

15. تأويلات عبد الرزاق الكاشاني لرموز آية النور من منظور سيميائيات بيرس

تُعدّ آية 35 في سورة النور من أبرز النصوص القرآنية التي تجسد الرمزية الإلهية والروحية، حيث تستخدم لغة مجازية غنية لتصوير النور الإلهي كمصدر للوجود والإدراك. في كتابه "*تأويلات عبد الرزاق*" يقدم العالم الصوفي عبد الرزاق الكاشاني (730 هـ–1330م) تأويلًا باطنيًا يربط عناصر الآية الرمزية – مثل المشكاة، المصباح، الزجاجة، الشجرة المباركة، والزيتونة – بمفاهيم صوفية عميقة تتعلق بالجسد، الروح، القلب، والنفس المطهرة. (نفس المصدر، ص75–78) هذا التأويل يعتمد على مفهوم وحدة الوجود المستمد من مدرسة ابن عربي، حيث يُرى النور كرمز مركزي للتجلي الإلهي والإشراق الروحي.

لتحليل هذه التأويلات، يُستخدم نموذج "تشارلز ساندرز بيرس" (1839–1914م) السيميائي، الذي يقدم إطارًا ثلاثيًا لفهم إنتاج المعنى: العلامة (Sign) أو(Representamen) التي تمثل شيئًا آخر؛ الموضوع (Object) الذي تشير إليه العلامة؛ والمفسر(Interpretant) الذي هو التأثير أو المعنى الناتج عن التفاعل بين العلامة والموضوع. (Peirce, 1931, Vol 2, p 228)

يصنف بيرس العلامات إلى ثلاث فئات رئيسية: الأيقونية (Icons) التي تعتمد على التشابه؛ المؤشرة(Indices) التي ترتبط بعلاقة سببية أو وجودية؛ والرمزية (Symbols) التي تعتمد على الاصطلاح أو الاتفاق الثقافي. (نفس المصدر، صص 249-247)

كما يؤكد بيرس على مفهوم "السيميوسيس اللانهائية" (Unlimited Semiosis) حيث يولد كل مفسّر علامة جديدة مما يؤدي إلى سلسلة مستمرة من المعاني.(Short, 2007, p. 15) هذا النموذج يتناسب مع الطبيعة الديناميكية للتأويل الصوفي، الذي يرى في الرموز القرآنية طبقات متداخلة من الدلالات الباطنية.

فيما يلي تحليل تفصيلي لتأويلات الكاشاني لرموز آية النور من منظور بيرس، مع الاستناد إلى النص الأصلي لتأويله كما ورد في مصادره، حيث يُظهر التفاعل بين العلامات والدلالات الروحية كيفية توليد معانٍ متجددة تعكس التجربة الصوفية.

16. إطار سيميائيات بيرس: الأسس النظرية والتطبيق على التأويل الصوفي

يُبنى نموذج بيرس على فلسفة براغماتية ترى المعنى كعملية ديناميكية تتطور عبر التفاعلات، لا كشيء ثابت. في سياق التأويل الصوفي، يُمكن تطبيق هذا النموذج لكشف كيف تحول الرموز القرآنية – كعلامات – الدلالات الظاهرية إلى معانٍ باطنية. على سبيل المثال، يرى "بيرس" أن العلامة لا تكتمل إلا بوجود المفسر، الذي يمثل الوعي البشري أو الروحي، وهو ما يتوافق مع رؤية الكاشاني للإنسان كمرآة للتجلي الإلهي. في آية النور، تُعد الرموز علامات مركبة تجمع بين الأيقونية (التشابه البصري أو الوظيفي)، المؤشرة (الإشارة السببية إلى التجلي)، والرمزية (الاصطلاح الصوفي المبني على وحدة الوجود). هذا التصنيف يساعد في فهم كيف ينتج التأويل الصوفي معانٍ لا متناهية، كما في مفهوم بيرس للسيميوسيس، حيث يؤدي كل تأويل إلى طبقة جديدة من الإدراك الروحي.(Eco, 1976, p 68)

16-1.النور كإشارة مركزية: الرمزية والسيميوسيس اللانهائية

يبدأ الكاشاني تأويله بقوله: «اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ... النور هو الذي يظهر بذاته و تظهر الأشياء به».(الكاشاني، 1422م، ج2، ص75) هنا، يُعامل «النور» كعلامة رمزية (Symbol) تعتمد على الاصطلاح الصوفي الذي يربط النور بالظهور الإلهي، مستندًا إلى تقاليد ابن عربي حيث النور رمز للوجود المطلق. الموضوع هو الله كمصدر للوجود والإضاءة، بينما المفسر هو الإدراك الصوفي الذي يرى النور كمظهر للسموات (عالم الأرواح) والأرض (عالم الأجساد). هذا التأويل يعكس السيميوسيس اللانهائية، إذ يولد «النور» معانٍ متتالية: من الظهور الإلهي إلى الإشراق الروحي في الكون، مما يفتح آفاقًا لتأويلات جديدة كالتجلي في الإنسان. كما يقتبس الكاشاني شعرًا يبرز خفاء النور لإفراط الظهور، مما يضيف طبقة أيقونية تشبه النور بالضوء الذي يعمي البصر إذا زاد شدة.(Chittick, 1989, p 12)

16-2. المشكاة والمصباح: العلامات الأيقونية والمؤشرة في الجسد والروح

يفسر الكاشاني «المشكاة» كإشارة إلى الجسد لظلمته في نفسه و تنوّره بنور الروح، و«المصباح» كالروح التي تضيء الجسد (الكاشاني، 1422ق، ج2، ص75). من منظور بيرس، تُعد «المشكاة» علامة أيقونية (Icon) تعتمد على التشابه الوظيفي مع الجسد كوعاء مظلم يتنور بالنور الداخلي، بينما «المصباح» علامة مؤشرة (Index) ترتبط بعلاقة سببية مع الروح كمصدر للإضاءة. الموضوع هو التوازن بين المادة والروح، والمفسر هو الإدراك الصوفي للإنسان ككائن مركب يتجاوز الظلمة بالإشراق الروحي. يعزّز الكاشاني هذا بتشبيه المشكاة بشباك الحواس، مما يضيف بعدًا رمزيًا يربط بين الحواس والتلألؤ الروحي، ويولد سلسلة من المعاني حول كيفية تسلل النور الإلهي عبر الجسد. (Peirce, 1931, Vol 2, p 294)

16-3. الزجاجة والكوكب الدري: الرمزية الصافية والتشابه الأيقوني

تُشبه «الزجاجة» عند الكاشاني بالقلب «المتنوّر بالروح المنوّر لما عداه»، ووصفها بـ«كأنها كوكب دري» يبرز بساطتها ونوريتها. (الكاشاني، 1422ق، ج2، ص75) هنا، تعمل «الزجاجة» كعلامة رمزية (Symbol) تعتمد على الاصطلاح الصوفي للقلب كمركز إشراق، مع عنصر أيقوني في التشابه مع الكوكب في الارتفاع والشعاع. الموضوع هو القلب كمرآة للنور الإلهي، والمفسر هو الفهم الروحي للإشراق الذي ينتشر إلى الآخرين. هذا التأويل يعكس ديناميكية بيرس، حيث يولد التشابه (Icon) معانٍ جديدة حول النقاء الروحي، كما في وصف الكاشاني للقلب كمكان علوّ يجمع بين الإضاءة الذاتية والإنارة للغير.(Eco, 1976, p 130)

16-4. الشجرة المباركة والزيتونة: التعددية الرمزية والتوازن الوجودي

يُفسر الكاشاني «الشجرة المباركة» بالنفس القدسية المزكاة، و«الزيتونة» كرمز للنفس بسبب خصائصها الجزئية والقابلة للإضاءة، مع وصفها بـ"لا شرقية ولا غربية» كمتوسطة بين عالم الأجساد والأرواح. (الكاشاني، 1422ق، ج2، ص75) من منظور بيرس، تُعد «الشجرة» علامة رمزية (Symbol) تعتمد على الاصطلاح الصوفي للنفس كشجرة متشعبة بالقوى والفوائد، مع عنصر أيقوني في التشابه مع الزيتونة في الدهنية القابلة للاشتعال. الموضوع هو النفس كوسيط بين الجسد والروح، والمفسر هو إدراك التوازن الوجودي الذي يؤدي إلى الكمالات والسعادة. هذا يبرز السيميوسيس اللانهائية، حيث يولد وصف «لا شرقية ولا غربية» معانٍ حول الوسطية الروحية، مما يربط بين العوالم المادية والنورانية.(Peirce, 1931, Vol 2, p 249)

16-5. النور على نور: التضاعف السيميائي والتجلي المتكرر

يصف الكاشاني «نورٌ على نور» كـ«نور زائد على نور الاستعداد الثابت» مشيرًا إلى تضاعف الكمال. (الكاشاني، 1422ق، ج2، ص75) هذه العبارة تمثل علامة مؤشرة (Index) ترتبط بعلاقة سببية مع التجلي الإلهي المتكرر، مع بعد رمزي في الإشارة إلى الإشراق المتزايد. الموضوع هو الإضاءة الإلهية المتعددة المستويات،

والمفسر هو السير الروحي نحو الكمال. يعكس هذا مفهوم بيرس للتضاعف السيميائي، حيث يؤدي كل نور إلى نور جديد، مما يولد سلسلة لا متناهية من الدلالات الروحية.(Short, 2007, p 18)

16-6. الهداية الإلهية والعلم الإلهي: الإشارة الرمزية للتوفيق

يختتم الكاشاني بـ«يهدي الله لنوره من يشاء» كدلالة على التوفيق الإلهي، و«اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» كعلم محيط. (الكاشاني، 1422ق، ج2، ص75) هاتان العبارتان علامتان رمزيتان تشيران إلى الهداية كموضوع إلهي، والمفسر هو الفوز بالسعادة عبر الكشف. هذا يجسد النموذج الثلاثي لبيرس، حيث يوجه العلم الإلهي عملية التأويل، مما يعزز الطابع المقدس للسيميوسيس في السياق الصوفي.(Chittick, 1998, p. 20)

بهذا التحليل، يظهر توافق تأويل الكاشاني مع سيميائيات بيرس في كشف الطبقات الرمزية، مما يثري فهم الرمزية القرآنية كعملية ديناميكية تتجاوز الحدود الظاهرية نحو الحقائق الباطنية.

رسم بياني (5)

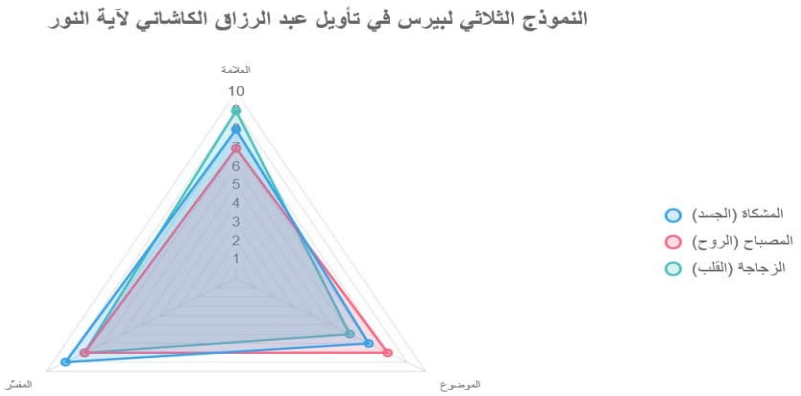

17. آثار البحث على الدراسات القرآنية الحديثة واقتراحات للأبحاث المستقبلية

يُمثل هذا البحث إسهاماً هاماً في مجال الدراسات القرآنية من خلال تقديم إطار تحليلي يجمع بين المنهج السيميائي لبيرس والتأويلات الصوفية، مما يساهم في سد الفجوة بين المناهج التقليدية والأدوات الأكاديمية الحديثة. على وجه التحديد، يتيح تطبيق نموذج بيرس على آية النور كشفاً أعمق للطبقات الرمزية في النصوص القرآنية، مما يعزز فهم الدلالات الروحية ويفتح آفاقاً جديدة لإعادة قراءة النصوص الدينية بأساليب تحليلية معاصرة، كما هو موضح في الدراسات التي تبرز دور السيميائيات في تفسير الرموز القرآنية ضمن السياقات الثقافية واللاهوتية. بالإضافة إلى ذلك، يعمل هذا النهج على تعزيز التكامل بين الخطاب الصوفي والتحليل العلمي، مما يثري الدراسات القرآنية برؤية متكاملة تقلل من الاعتماد على التفسيرات الظاهرية التقليدية، وفقاً للأبحاث الحديثة التي تركز على إعادة تعريف التأويل القرآني عبر الأدوات السيميائية. تتجاوز هذه الآثار

الفردية لتشمل تعزيز الحوار الثقافي، حيث يمكن توسيع النموذج ليشمل نصوصاً دينية أخرى، مما يعمق الفهم المتبادل بين التراث الإسلامي والفكر الغربي.

فيما يتعلق بالاقتراحات للأبحاث المستقبلية، يُوصى بتوسيع نطاق التطبيق ليشمل آيات قرآنية أخرى ذات رمزية عالية، مثل آية الكرسي أو سورة الإخلاص، لاستكشاف توافق سيميائيات بيرس مع تأويلات صوفية متنوعة، كما هو مقترح في الدراسات التي تؤكد الحاجة إلى تطبيقات أوسع للسيميائيات في السياقات الإسلامية. كما يُقترح إجراء دراسات مقارنة بين تأويل الكاشاني ومفسرين آخرين مثل ابن عربي أو الغزالي، مع دمج مناهج سيميائية إضافية مثل تلك الخاصة بفيرديناند دي سوسور، لتقييم الاختلافات في إنتاج المعاني الروحية. علاوة على ذلك، يمكن استكشاف التأثيرات الثقافية لهذه السيميائيات في الدراسات القرآنية من خلال تطبيقات عملية في مجالات التعليم الديني أو التحليل النفسي، مما يفتح مجالاً لأبحاث متعددة التخصصات تركز على الرموز القرآنية في السياقات المعاصرة، كما هو مشار إليه في الأبحاث التي تناقش السيميائيات كأداة لفهم الرموز في التراث الإسلامي. تُعد هذه الاقتراحات خطوات أساسية لتعزيز القيمة التطبيقية لهذا البحث وتطوير مجال السيميائيات القرآنية.

18. الخاتمة

ISSN: 2394-4862

تقدم هذه الدراسة تحليلًا سيميائيًا لتأويل عبد الرزاق الكاشاني لآية النور في سورة النور باستخدام منهجية تشارلز ساندرز بيرس، مقدمةً إسهامًا متميزًا في الدراسات القرآنية. رداً على السؤال الأول، تم تحديد العلامات الأيقونية (كالمشكاة تمثل الجسد، والزجاجة تمثل القلب النقي)، المؤشرة (كالمصباح يشير إلى الروح، و«نور على نور» يعكس التجلي الإلهي المتكرر)، والرمزية (كشجرة الزيتون ترمز إلى النفس المطهرة)، التي نقلت الدلالات الروحية بتفاعل ديناميكي يربط النور الإلهي بالإدراك البشري. وفيما يتعلق بالسؤال الثاني، يتماشى تأويل الكاشاني مع سيميائيات بيرس اللانهائية، حيث يولد كل عنصر مفسرًا جديدًا، مما يعكس التكرارية في إنتاج معانٍ روحية متجددة. أما السؤال الثالث، فقد عززت منهجية بيرس التكامل بين الخطاب الصوفي والتحليل السيميائي من خلال إطار علمي يكشف العلاقات بين العلامات ودلالاتها، معززًا فهم التأويلات الباطنية للنص القرآني. تكمن أهمية البحث في ربط المناهج الصوفية التقليدية بالأدوات التحليلية الحديثة، مما يفتح آفاقًا جديدة لدراسة الرمزية القرآنية ويعمق فهم التفاعل بين النص وتأويلاته الروحية.

المصادر

المصادر العربية:

1. القرآن الكريم.
2. ابن عربي، محيي الدين. (1911م). *فصوص الحكم*. القاهرة: مطبعة العزبية المصرية.

3. الحصاري، إبراهيم. (2022م). *اللغة المجازية في القرآن الكريم: تفسير سيميائي لسورة الحجرات*. مجلة (TIJIE) المجلة الدولية للتعليم الإسلامي.
4. الكاشاني، عبد الرزاق (1422 ق). *تفسير ابن عربى(= تأويلات عبد الرزاق الكاشاني)*، بيروت: دار إحياء التراث العربي
5. اللهويسي، نيشتمان. (2020م). *سيميائيات الرموز في الشعر الإسلامي*. مجلة البحث الأدبي.
6. مراكشي، محمد. (2019م). *السيميائيات في الدراسات القرآنية* . الرباط: دار النشر المغربية.

المصادر الإنجليزية:

1. Chittick, W. C. (1989). *The Sufi path of knowledge: Ibn al-'Arabi's metaphysics of imagination*. State University of New York Press.
2. Chittick, W. C. (1998). *The self-disclosure of God: Principles of Ibn al-'Arabi's cosmology* . State University of New York Press.
3. Eco, U. (1976). *A theory of semiotics*. Indiana University Press.
4. Nasr, S. H. (2006). *Islamic philosophy from its origin to the present: Philosophy in the land of prophecy*. State University of New York Press.
5. Peirce, C. S. (1931). *Collected papers of Charles Sanders Peirce* (Vols. 1–8). Harvard University Press.
6. Schimmel, A. (1975). *Mystical dimensions of Islam*. University of North Carolina Press.
7. Short, T. L. (2007). *Peirce's theory of signs*. Cambridge University Press.

List of sources and references

1. **al-Qurʾān al-Karīm.**
2. **Ibn ʿArabī, Muḥyī al-Dīn.** (1911). *Fuṣūṣ al-Ḥikam.* Cairo: Maṭbaʿat al-ʿAzzabiyya al-Miṣriyya.
3. **al-Ḥaṣārī, Ibrāhīm.** (2022). *al-Lugha al-Majāziyya fī al-Qurʾān al-Karīm: Tafsīr Sīmiyāʾī li-Sūrat al-Ḥujurāt. TIJIE: al-Majalla al-Dawliyya lil-Taʿlīm al-Islāmī.*
4. **al-Kāshānī, ʿAbd al-Razzāq.** (1422 AH). *Tafsīr Ibn ʿArabī (= Taʾwīlāt ʿAbd al-Razzāq al-Kāshānī).* Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.
5. **al-Lahwīsī, Nīshtimān.** (2020). *Sīmiyāʾiyyāt al-Rumūz fī al-Shiʿr al-Islāmī. Majallat al-Baḥth al-Adabī.*
6. **Marākishī, Muḥammad.** (2019). *al-Sīmiyāʾiyyāt fī al-Dirāsāt al-Qurʾāniyya.* Rabat: Dār al-Nashr al-Maghribiyya.